

الرافعي: من أدب الذات إلى

لماذا انصرف الشباب عن أدب الرافعي؟!
يقولون إن شيئاً في أدب الرافعي يجعله غامضاً وفوق
مستوى العامة من المثقفين.

ونقول إن أشياء كانت في أدب العقاد وأشياء أخرى في
أدب طه حسين تجعلهما أكثر غموضاً وأكثر ارتفاعاً عن
مستوى العامة من المثقفين.

فلماذا كان إقبال الناس على العقاد وطه حسين أكثر من
إقبالهم على أدب الرافعي؟

ولماذا أخذ العقاد وطه حسين حظهما في كل مناسبات
التقدير والتبجيل على العكس من الرافعي؟..

إنني لأجد هنا تفسيراً واحداً لهذا الأمر سوى أن الحقد العارم
الذي مازال يأكل بعض الصدور على كل ماهو أدب إسلامي
أصيل ورائع يعمل على أن يبعد أدب الرافعي وجهوده في صد
التيار التغريبي الوافد عن فكر أبنائنا وشبابنا.

وماكان الانصراف عن أدب الرافعي وجهوده إلا من زاوية
الانصراف عن الإسلام كله، بكل ماكتب فيه ومايكتب عنه بحيدة
وعمق وإنصاف.

ويقولون لك أشياء أخرى بخصوص معارك الرافعي في
الدفاع عن الإسلام.. يقولون: إن الرافعي أديب كان يرجو زعامة
الشعر، فلما ضاعت منه راح يرجوها في النشر، فهو مجرد كاتب
محترف سواء اعتقد مايقول أم لم يعتقد.

وأعجب كل العجب حين أجد تلميذ الرافعي الأستاذ محمد
سعيد العريان يسقط تلك السقطة الشنيعة، فيتساءل في «حياة
الرافعي» قائلاً: هل كان للرافعي خيرة في المذهب الجديد الذي
ذهب إليه عندما شرع يكتب تاريخ آداب العربية؟

وهل كان يعني مايفعل حين انحرف عن الهدف الذي كان
يسعى إليه في إمارة الشعر إلى المنحى الجديد في ديوان الأدب
والإنشاء؟

هل كان عن قصد ونية أن يتخلى الرافعي عن أماني الشباب
وأوهام الصبا ليقف نفسه على العربية وتراثها يستنبط أسرارها
ويغوص على فرائدها وعلى الإسلام وأبطاله يكشف عن مآثرهم





**بقلم الدكتور:
عبد الحليم عويس**

دب الهدف والرسالة

وينشر آثارهم؟

ويجيب الأستاذ العريان على تساؤله قائلاً:

الحق أن الرافعي لم يكن له خيرة في شيء من ذلك، ولا كان يعني، ولا توجهت نيته إليه، فلما كتب تاريخ آداب العربية، وإعجاز القرآن، ورأى صدهما في الناس، أحس بأن عليه رسالة يؤديها بين أدباء الجيل، وأن له غاية أخرى هو عليها أقدر، وبها أجدر، فجعل الهدف الذي يسعى إليه أن يكون لهذا الدين حارسه وحاميه، وأن ينفخ في هذه اللغة روحاً من روحه يردها إلى مكانها ويرد عنها.. فكان الأمر كان رد فعل انتهى بصاحبه إلى طريق ثبت رضا الناس عنه وإقبالهم عليه.. والأمر في رأينا ليس كذلك.

فالحق الذي أؤمن به أن الرافعي كانت له إرادة وخيرة في المذهب الجديد الذي سار في دروبه، وإلا فما معنى أن يكون اتجاه الرافعي إلى الإسلام والعروبة نتيجة إعجاب الناس بـ «تاريخ الآداب» و«إعجاز القرآن».. مامعنى هذا مع قول العريان نفسه «أحس أن عليه رسالة»، فالرسالة لاتأتي من إعجاب الناس، بل هي غالباً لاتعجب الناس، وإنما تأتي من القلب والشعور والضمير.

ثم مامعنى قوله أيضاً: «فجعل الهدف الذي يسعى إليه أن يكون لهذا الدين حارسه.. إلخ» وبما أنه ليس له اختيار، وبما أنه سار مع إعجاب الناس وفي شارع ثنائهم، فلا يمكن أن يكون الهدف «حراسة الدين أو اللغة» وإنما الهدف الثناء والتصفيق، وهو مايتناقض مع كلام العريان عن الرسالة والهدف، ويبدو أن «العريان» - رحمه الله - خانه التوفيق، فالرغبة في الثناء والرسالة والهدف لايلتقيان.. وفي ظروف كالتى عاشها الرافعي «تحت راية القرآن» لايمكن أن يكون الأمر إلا هدفاً ورسالة، تواجه غارة قوية على الكلمة المؤمنة والانتماء الإسلامى، أما أقوال العريان الأخرى عن إمارة الشعر وغيرها، ليصل إلى سلب الرافعي «الاختيار الواعي الحر» في اتجاهه إلى العروبة والإسلام، فذلك مايدحضه أكثر من دليل:

أولاً: ينسى أستاذنا العريان رحمه الله أن الشعر ونظمه غالباً

مايكون بداية كل أديب، سواء صار بعد ذلك شاعراً أم لا، لأن الشعر أقدر الأوعية الأدبية على حمل الأحاسيس والمشاعر والعواطف، فاتجاه الرافعي إلى الشعر اتجاه فطري، أما اتجاهه إلى الإسلام فهو الاتجاه المتعمد، الذي صار من أجله جيوشاً من الأهواء والنزعات.

ثانياً: لو لم يكن للرافعي - أصلاً - أرض إسلامية خصبة أكان يستطيع لمجرد إرادته أن يكون هذا الداعية الذي أيقظ الفكر العربي من سباته، ليوجهه وجهة صحيحة.. صوب دينه وحضارته!!

ثالثاً: كان الرافعي فيما يكتبه من رسائل للرد على الأستاذ محمود أبورية، يكتب كلمة «الداعية» ولم يكن يكتب كلمة «الأديب».

رابعاً: كان الرافعي نموذجاً صالحاً لكل كتاباته، ولم يكن ثمة بون شاسع بين حياته الشخصية وكتابته على النحو الذي نراه في المحترفين وأشبه المتاجرين والمنافقين.

خامساً: وكما قال العريان نفسه عن الرافعي: كان الهدف الذي جعله الرافعي لنفسه منذ يومه الأول هو أن يكون من هذه الأمة لسانها العربي، وأن يكون لهذا الدين حارسه وحاميه، يدفع عنه أسباب الزيغ والفتنة والضلال.(!!!)

سادساً: صموده أمام العاصفة:

والناظر إلى التيارات الفكرية في حاضر الإسلام وفي ماضيه، يرى عجباً من الأفكار المستوردة من الغرب بشقيه الرأسمالي والشيوعي، وهي أفكار لم تحاول أن تظهر في ثوبها المفضوح، وإنما استطاعت إيجاد أثواب لها في شخوص بعض أبناء جلدتنا، ممن ينتسبون إلى الإسلام والعربية زوراً، لكن الرافعي ومعه ثلة قليلة وقفوا في وجه العاصفة، وأظهروا للناس في أسلوب بديع دين الله بحقائقه الرائعة ونظمه السامية، التي تفتقد لها البشرية كلها في عصرها الحديث.

■ ■ ■